◄المقدمـة►

إهداء رمزي

إلى اسميّ والديّ

الأستاذ الشيخ/ **عبد المعطي حسين عبد المعطي**

والسيدة/ **نفيسة محمد عبد المعطي**

واسم اللواء أركان حرب مهندس

عبد القادر محمد عبد القادر

رحمهم الله

الشكر لله أولا وآخرا، وأقدم شكري الخالص لكل من أبدى الرأي في موضوع وشكل هذا الكتاب.

وأخص بالشكر والعرفان الشخصيات التي يرجع لهم الفضل العظيم في تأسيس قواعد الفكر الحر والثقافة الراقية في نفسي وأنفس أهل القرية التي رأيت النور على أرضها؛ اسنيت- مركز كفر شكر- محافظة القليوبية- مصر.

حيث قام الطالب الجامعي حينذاك في أربعينيات القرن الماضي/ **عبد القادر محمد عبد القادر** بتأسيس مجموعة لتعليم أهل القرية وتنويرهم ثقافيا، ويجدر بي أن أذكر آخر عمل لهذا الإنسان الوفي المحب لبلده؛ حيث أنشأ **مستشفى ناهد الخيري** لعلاج أهل بلدته بأقل تكلفة وبأعلى الإمكانيات، ثم توفي في العام التالي وهو في الثمانينات من العمر، وكان طوال حياته يساعد من يريد العيش شريفا بتوفير العمل المناسب له.

وكان والدي (١٩١٣- ٢٠٠٣م) أول من نال شرف التعلم على يدي هذا الطالب المثالي، ثم طور والدي من إمكانياته بعد ذلك وفتح مدرسته الخاصة لتعليم الشهادة الابتدائية ثم الإعدادية، وكان في ذروة نشاطه بين عامي ١٩٥٠م و ١٩٦٠م، في قرية اسنيت بدلتا مصر التي تقع على ضفة النيل

الشرقية لفرع دمياط، وكنت أنا ضمن طلابه لحسن حظي، ولم تكن المحصلة مقتصرة على المواد الدراسية فقط ولكن كنت أتلقى منه ثقافة الفكر الحر ونبذ التقاليد المنافية للدين الحق عقيدة وشرعا.

وتلقيت الأدب على يدي والدتي **نفيسة محمد عبد المعطي** على هيئة قصص أدبية سمِعَتْها من والدي وصاغتْها لنا بأسلوب شيق.

وهذا أدى بطريق غير مباشر إلى بدء دراستي للقرآن الكريم في خريف عام ١٩٦٧م للوقوف على حقيقة الإسلام، وفي عام ١٩٩٠م بدأت في عمل مناقشات حول ما توصلت إليه، ودرست علوم الحديث والتفسير والفلسفة والمنطق، وعلوما متنوعة في الطب والفيزياء والفلك والكونيات واتجاهات أخرى كثيرة، كل هذا إلى جانب تخصصي الفني في الإلكترونيات، وبعد بضع سنوات بدأت في تجهيز كتابي للطبع وأخرجت بعض النسخ التجريبية ووزعتها على أهل الاختصاصات المختلفة للتعليق عليها، ثم جمعت هذه النسخ بما عليها من تعليقات، ثم عدلت من كتابي، وكررت نفس العمل مرات عديدة، حتى وصلت إلى هذه النتيجة التي بين يديك.

لذا أدعو الله لهم دوما أن يجعل لهم نصيبا من نتاج وثمرة هذا العمل العظيم على مدى التاريخ.

وبهذا العمل أصلي على محمد بن عبد الله وأشكره وأثني عليه.. الذي بلَّغ الرسالة على أتم وجه وكان له الفضل الأول بعد الله تعالى أن يكون هذا الكتاب مبنيا على الرسالة التي أوصلها لنا بأمانة.

سعيد عبد المعطي حسين

بِسْمِ اللهِ الرحْمَٰنِ الرَّحِيم ↥

"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾" فصلت ٤١

إن محتوى هذا الكتاب نشأ عن استقراء وتأمل الأخبار الواردة عن الخالق حول خلقه للكائنات، وهذا المحتوى عبارة عن **صورة كلية للخلق**. وفي الواقع فإن **بعض هذه الصورة** عبارة عن ما يشبه **الجُزر** المنعزلة عن الواقع الفعلي للإنسان؛ كالإخبار عن **العوالم الآخرة** التي بها الجنة أو النار، فنحن لم نر أو نلمس شيئا من ذلك، **والبعض الآخر** متصل بهذا الواقع وقابل للخضوع للتجارب؛ كالدعوة إلى التفكر في الأنفس؛ أو فيما يحيط بنا من البيئة أو الكون، ونحن نعلم أن البيئة من حولنا قابلة للاختبار ونتعامل معها في كل وقت.

مثال ذلك: من يقودون سفينة وسط محيط؛ ومرشدهم منارات تهديهم وسط خِضَمِّ ظلمات البحار، فوجود تلك **الجزر العلمية** المنعزلة التي صورها لنا الخالق سبحانه وتعالى؛ هي بمثابة المنارات الهادية للسفينة الماخِرة في عُباب البحار المظلمة، وأهم ما يجب على السفينة هو عدم مخالفتها لهذه المنارات، ويجب أن تشق السفينة طريقها دون ضلال؛ وإلا تهلك بمن عليها في خُضَمَةِ تلك الأمواج العاتية.

والتاريخ منذ ظهور بواكير الحضارة الإنسانية؛ منذ حوالي عشرة آلاف سنة، يؤكد أن أمما كثيرة قد هلكت؛ بسبب **غض البصيرة** عما يشبه هذه المنارات، أو الهُدى المتمثل في أمرين: **أولهما** [**الفطرة**[1]] والنبوءات وما يتبع ذلك من تنزيل متتالي على الرسل، فعندما يتجاهلون هذا تسُوء أخلاقُهم وتتدنَّى قِيَمُهم ولا يقيمون شأنا لما فيه هلاكُهم، **وثانيهما** ما قلت بأنه **الجُزر العلمية**، التي من خلالها نرى **صورة أو خريطة للخلق والمخلوقات**، حتى يعلمون **مواقعَهم الحقيقية على هذه الخريطة**، **وإن** غضوا البصيرة عن هذه الخريطة تخلفوا عن مواكب الرُّقِي والتقدم.

وقد انشغل الإنسان كثيرا بهذا **الموقع على الخريطة**، فكان دور **الفلسفة** في محاولاتٍ دائمة لوصفِ الصورة بالتأمل الذاتي التجريدي، وكانت النتائج مختلفة في قليل أو كثير فيما بين بعض الفلاسفة وبين

[1] هي قواعد موروثة في نفس كل إنسان إن احتكم إليها الفرد فإنها تقوده إلى التعامل المثالي مع المجتمع والبيئة.

البعض الآخر، وبين الفلاسفة وبين **المتكلمين**[١]، ونرى في جهة أخرى؛ بعيدا عن الاختلافات؛ دأْبَ فريقٍ من **الواقعيين التجريبيين**[٢]، في كشفِ غموض خصائص المادة وتآثراتها التي صُنع منها الكون، وسبرِ أغواره لكشف أسراره، وقد اتصفت كل نتائج أعمالهم بصفة **عدم الاختلاف** على عكس ما ظهر في **الفلسفة والكلام**، ومن الواضح أن المنهج هنا مختلف **فهو منهج استقرائي تجريبي بُنِي على الشواهد والمنطق**، غير منهج الفلسفة **فهو منهج تأمل ذاتي تجريدي، بُني على أفكارٍ بعضها نابعٌ من الذات**، فهي لا تخلو من الظن، ونتائج البناء على الظن بها اختلافات.

إن النتائج التي بين يدي القارئ الآن؛ **هي نتاج تحليل أخبار واردة عن الخالق –جل شأنه–، عن طريق استقراء هذه الأخبار**، لذلك فهذه النتائج **ليست فلسفة؛ لأنها ليست تأملا ذاتيا تجريديا**؛ وأيضا **ليست علما تجريبيا**، ولذلك أطلقتُ على هذه **الجزر العلمية** –كما قلت بشأنها من قبل– اسم {**الصورة العلمية**}[٣].

وهذه {**الصورة العلمية**} تحتاج من العلماء التجريبيين؛ إلى إنشاء جسور علمية تجريبية؛ توصل بينها وبين العلوم التجريبية، بواسطة التوجه التجريبي نحوها **إن أمكن**، وعندما يحدث ذلك تتصل بعض **الجزر العلمية** بالواقع المشهود، ويصبح الجميع كُلاًّ واحدا، يستفيد منه الإنسان في كافة مجالات وجوده، **أخلاقيا وتطبيقيا**.

وباختصار فالذي اكتشفته في القرآن الكريم هو مجموعة ضخمة من الكنوز داخل غرف مغلقة، ومفاتيحها في إحدى هذه الغرف، واكتشافي كان لهذه الغرفة الحاوية للمفاتيح، واستعملت منها مفتاحا واحدا فقط، ودعوتي الآن للمكتشفين أن يستعملوا المفاتيح الباقية؛ كلا في مكانه المناسب.

---

[١] هم الفئة التي أخذت في وصف العقائد من خلال النصوص القرآنية أو الأحاديث المروية، كالجهمية والأشعرية والمعتزلة والصوفية وغيرهم. انظر أيضا فصل **الدين والفلسفة** في التصورات في القسم الثاني من هذا الكتاب.

[٢] وهم أمثال علماء الكونيات والفلك والذرة والكيمياء والأحياء وغيرهم.

[٣] هي حالة خاصة للعلم حيث يتكون العلم بشيء ما عن طريق الحواس والفؤاد وقابل للتجارب، أما في حالة الصورة العلمية فهي تتكون من التحليل المنطقي لنصوص التنزيلات الإلهية على الرسل دون الاعتماد على أي أفكار بشرية بديلة ويمكن أن يكون غير قابل للتجارب، كالإخبار عن العالم الآخر.

وفي سبيلي التحليلي؛ كما أوضحت من قبل؛ اكتشفت **تسعة مبادئ لخلق الكون (الأكوان كلها)** وضعَها الخالق باختياره تصميميا، قبيل الخلق التنفيذي للكون الذي نُحِسُّهُ الآن، ومن هذه المبادئ استنبطت **نظرية الترقي الشامل بالتنزيل** لكافة الكائنات؛ سواء مادية ميتة وحية، أو غير مادية، وما سوف يؤول إليه مصيرها، واستعملت كافة الأدوات العلمية والمنطقية للابتعاد تماما عن أي شبهة ظنية، فكانت أدواتي العلمية هي **المراجع العلمية** الموثوق بها مع **المشاهدة** كلما أمكن ذلك، واستعملت **تعريفات تعبيرات القرآن من القرآن ذاته**، وابتعدت تماما عن التعريفات والتفاسير المختلف عليها أو التي لم تستعمل المنطق في فهم النصوص، اللهم إلا القليل بغرض الاطلاع على موقف ما، وقد اطلعت على **الكتاب المقدس** بعهديه القديم والجديد ودعمت بنصوص منه **كلما وجدت اتفاقا** مع نفس الهدف.

وخرجت بنتائج عديدة، منها **التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم**، ومنها تعريف [**النفس**] ومكوناتها من الوحدات الفرعية مثل [**القلب**] و[**الفؤاد**] و[**النفس اللوامة**] و[**الذاكرات**]، وتعريف [**الرُّوح**] و[**الفطرة**]، وعلاقة كل هذا **بمبادئ التشريع**، واكتشفت **مبادئ الخلق التسعة** كما ذكرت من قبل، والتي منها استنبطت **نظرية الترقي الشامل بالتنزيل**، وهي نظرية تصف الخلقَ كلَّه كيف نشأ وترقَّى من عالم العناصر البسيطة مثل **الهيدروجين**؛ إلى العناصر ذات الذرات الأكبر مثل **الحديد**؛ إلى الكائنات المتكاثرة ذاتيا؛ إلى عالم الأحياء؛ والارتقاء إلى الإنسان، ألمحت إلى بعض القصور في **نظريات <داروين>**، وعدَّلت فيها بما يساير المبادئ المذكورة، وأيدت جانبا من الفكر الديني السابق في مجال الخلق، ووصفت بعض خصائص العوالم الآخرة التي يقام عليها الحساب والعقاب والثواب، ومن النتائج أيضا بعض المبادئ التي يجب أن يُقَيّم بها التاريخ، وكيف يُطرح بواسطة أدوات الفن في دور العرض أو برامج التليفزيون أو غيرها، وأيضا علاقة إرادة الإنسان بإرادة الله (سبحانه وتعالى)؛ والإجابة عن التساؤل المطروح من قديم الزمان؛ وهو قضية {**التسيير والتخيير**}؛ أو بمعنى آخر قضية {**الحرية**}، والرد على الفلسفات التي لمست هذا الموضوع وتكلَّمَت عنه.

وقد بيَّنْتُ أنَّ الفكرَ السليمَ من [**الفطرة**]، وانحراف الفكر جريمة؛ ويُضَلَّل به الآخرون؛ ويتحمل الإنسان أوزارَ هذه الجريمة، وأنَّ خطرَ معتنق أي [**دين**] على دينه؛ أشدُّ من خطر أعداء ذلك [**الدين**] التقليديين، لأنه يطبق دينه على نفسه وعلى المجتمع وعلى البيئة، فإن أظهر عداءً مع المجتمع أو البيئة

فهو عدوٌّ، وإن أظهر صداقةً فهو صديقٌ، ويترتب على ذلك معاملتُه من قِبَلِ المجتمع كله على أي المظهرين بدا منه، إنْ كان عدوًا فيُحارَب وتتلوث به فئتُه؛ وإن كان صديقًا فيُسا لَم وتشرُف به فئتُه.

ومما تقدم فستكون الدراسة في هذا الكتاب في قسمين رئيسيين هما:-

أولا: القسم الأول يتناول **أدوات [فقه] القرآن العظيم** ويشتمل هذا القسم على فصول:-

١- **الفصل الأول: الأسس الأولية المتوقعة لرسالة الخالق؛ المنزَّلة من لدنه؛ وهو المبدع العظيم**، وتتناول الدراسة فيه **الصفات المتوقعة لرسالة الخالق**؛ المرسِل لهذه الرسالة للبشر عن طريق رُسُل أمناء، بلَّغوها بكل دقة؛ **وطبقوا تعليماتها** على أنفسهم؛ وعلى أقوامهم؛ ولم يُقَصِّروا.

٢- **الفصل الثاني: وسائل [فقه] القرآن**، ويوجد في هذا الفصل **المبادئ** التي استنبطتُها للتعامل مع الرسالة بما يناسب جلالَها وحكمتَها، وكذلك وضعتُ **منهجا** يتوافق مع تركيبة النص الفريد بصفاته المعجزة؛ ليتم عن طريقه **[فقه]** هذا النص كما ينبغي؛ وكما أراد المعبِّر العظيم، وليس كما أراد أحدٌ آخر غيره.

٣- **الفصل الثالث: التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم**، وهي من أهم **أدوات فقه القرآن**؛ وهي التي وُضِعت من لدن رب العالمين؛ مُدمجةً في نصوص التعبير الشريف، وقد راعيتُ الدقةَ والمنطق قدر استطاعتي؛ لاستخراج هذه المعاني وقد بدأت هذا العمل في عام ١٩٧٤م، بعضها لم يكتمل؛ وبعضها لم يدون في هذه الطبعة؛ وسوف أداوم بإذن الله تعالى على استكمالها في الطبعات التالية-ماحييت-.

ثانيا: القسم الثاني ويتم بين صفحاته تناول دراسة موضوع محدد من القرآن العظيم، وهو **مبادئ خَلق الكائنات جميعا**؛ والنتائج المترتبة على هذه المبادئ؛ ويحتوي على بابين:-

١- **الباب الأول:** ونتناول فيه دراسة أربع آيات من سورة فصلت، تحتوي بشكل مثير على **تسعة مبادئ للخَلْق**، كل منها دُرِسَ في **فصل مستقل**.

٢- **الباب الثاني**: وفيه التصورات التي تنطبع في ذهن القارئ أو الباحث؛ من خلال استكمال **صورة الخلق حول موضوع ما**؛ طبقا للمبادئ التسعة السابقة؛ واستنادا إلى **التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم**، وفيه فصول:-

الفصل الأول: **نظرية الترقي الشامل بالتنزيل**، وفيه تم وضع تصور للفكرة العامة التي تم بها خلق التصميم، وترقي العناصر الذرية، ثم ظهور المواد، ثم الكائنات الحية، حتى الإنسان ومصيره في الحياة الآخرة، ومن هذه النظرية تتغير النظرة لما صاغه <**داروين**>، وقد أطلقت عليها صفة **نظرية** مع كونها {**صورة علمية**} وذلك من منظور **العلم التجريبي الحالي** الذي يفترض فرضين فقط؛ علما أو نظريات، والنظريات ما هي إلا فلسفة.

الفصل الثاني: **الدين وفلسفة الحرية**، وفيه تم استعراض آراء بعض الفلاسفة والمتكلمين حول مفهوم الحرية، وقمت بالرد عليهم ببيان الإيجابيات والسلبيات؛ من خلال الصورة التي رسمها لنا القرآن العظيم؛ المأخوذة من **المبادئ التسعة** و**التعريفات الاشتراطية**، وسوف ترى معي عزيزي القارئ أنه حان الوقت لنفض الأيدي من غبار التخبط الفلسفي، ولا أقصد الاستغناء عن الفلسفة أو الطعن فيها، فلولاها ما أثمر فكر الإنسان، ولكن أقصد تعديل النظر من خلالها من الآن فصاعدا؛ فيما يتعلق بشئون الخلق؛ والعلاقات الطبيعية فيما بين المخلوقات وبين البيئة؛ وما بين الكل وبين الخالق العظيم.

وفصول أخرى للعديد من التصورات، وفيها متسع للمزيد في الطبعات التالية.

وقد وضعت الآيات القرآنية وأرقامها وأرقام سُوَرِها وأسماء السور طبقا للنموذج الآتي:-

" ---{*} ---{*}" **اسم السورة أرقام السورة**

مثال:-

"بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ{١} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ{٢} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ{٣} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ{٤} عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ{٥}" العلق٩٦

فنرجو قراءة البسملة (بسم الله الرَّحْمَٰنِ الرحيم) قبل النص، وقراءة (صدق الله العظيم) بعد النص.

وسوف يصادفك رموزٌ تُعبِّر عن المضامين الآتية:-

"---، ---{*}" /تعبر عن نص آية قرآنية يتوسطه وقفة وينتهي برقم الآية.

"(*)---" /تعبر عن نص آية من الكتاب المقدس ويبدأ برقم الآية.

فعل أفاعيل /يعبر النص المائل عن نقله من مصدر آخر كما هو، أو نص تمثيلي.

<فاعل> /تعبر عن اسم عَلَم بشري.

[---] /بداخل الأقواس الكبيرة أحد التعبيرات الخاصة **بالتعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم**.

{---} /بداخل الأقواس المقوسة الكبيرة تعبير اشتراطي خاص بالمؤلف؛ مستنبط من القرآن الكريم.

فعل **الفاعل** فعلا /التعبير المميز بخط تحته أو بتمييز نوع الخط أو حجمه، يراد لفت الانتباه إليه فيما يتعلق بالموضوع محل الدراسة.

أتمنى رضا الله سبحانه وتعالى بهذا العمل، وأن يلقى هذا الكتاب قبولا من القراء، وأتمنى أن يكونوا سعداء بما يقرؤون، والله هو المستعان.

سعيد عبد المعطي حسين عبد المعطي